

المعنى أشلاء ويرمي بها فوق النفايات المعجمية، ويأخذ الدال مسحوراً به ومفتوناً، فيتوه معه في بوادي الارتحال والتغير، ليُخرج اللغة من مفهومها أداة إلى مفهوم آخر، تصير اللغة فيه بانية لما تنجزه ومولدة لما سينجز. وهنا يصبح من الضروري عدم الخلط بين مفهومين للغة: الأول، ويتلاءم مع طبيعة لغة الخطاب النفعي، حيث تكون اللغة فيه أداة للإيصال، كما جرى على ذلك في تعريفها سوسير ومارتينه وغيرهما. والثاني، ويتلاءم مع طبيعة لغة الخطاب الأدبي، حيث تكون اللغة فيه «إنجاز أعمال»، كما نلمح ذلك في قول بارت أعلاه، وجاكسون، وكريستيفا، وجان كوهين، وغيرهم⁽¹⁴⁾.

إن تصوير القراءة على أنها عمل لغوي، يُخرج القراءة من كونها استهلاكاً للمكتوب، إلى مفهوم آخر تصير فيه منتجة له وفاعلة فيه. وعلى هذا، يصبح من الضروري أيضاً، الفصل بين مفهومين للقراءة: الأول، ويتلاءم مع مفهوم القراءة أداة استقبال لرسالة نفعية استهلاكية، يكون الإيصال فيها هو الهدف الرئيس. والثاني، ويتلاءم مع مفهوم للقراءة تكون القراءة فيه منتجة للرسالة (النص الأدبي) لا أداة لها، ويكون «تدشين المعنى» فيها، كما ترى أرمينغو، هو الهدف الرئيس وليس الإيصال⁽¹⁵⁾.

والخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها هي أن هذين المفهومين، للغة والقراءة، يؤسسان حرية الأدب، ويسمحان بقاء النص والقارئ في معزل عن أي سلطة من أي نوع. وإن هذا ليؤدي بدراسة الأدب إلى:

- إزالة كل هيمنة إيديولوجية، أو حكم معياري مسبق الصنع وقائم على التصنيف، ولا علاقة له بالإنجاز اللغوي للأدب وتشكلاته.